الحق الذي هو المترع الهني والعذب لروي الم تر الي ربك كيف مد الظل
ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا الم تنظر الي صنع ربك
وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء
لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع
به احد سمي انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى
كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها على احوال
الظل من كونه ثابتا في مكان وزايلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم
الي الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا
اي قبضنه اليه انه ينسخه بضح الشمس يسيرا اي على مهل وفي هذا القبض اليسير
شيا بعد شي من المنافع ما لا يعد ولا يحصى ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت
اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فان قلت ثم في هذين الموضعين
كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثاني
اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينها في الفضل بتباعد
ما بين الحوادث في الوقت ووجه اخر وهو انه مد الظل حين بنى السماء كالقبة
المضروبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض فينانا ما في اديمه
جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس
وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع
الدليل في الطريق فهو يزيد وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه
قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة
بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام
اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه
وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير وهو الذي جعل لكم
الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا شبه ما يستر من ظلام
الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع
الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل فان قلت هلا فسرته
بالراحة قلت النشور في مقابلته يأباه اباء العيوف الورد وهو مرنق
وهذه الاية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه
لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوايد دينية ودنياوية
والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحيوة اي عبرة فيها لمن اعتبر وعن
لقمان انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي
ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا وقرئ
الريح والرياح نشرا احياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا تخفيف
نشر وبشرا تخفيف بشر وبشرى وبين يدي رحمته استعارة مليحة اي قدام
المطر طهورا بليغا في طهارته وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه
مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده
قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل
في شي والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك
ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما
يتوضا به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا
ذكره سيبويه ومنه قوله عليه الصلوة والسلام لا صلاة الا بطهور اي بطهارة
فان قلت ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور قلت تيقن

مخالطة

مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن تغير احد اوصافه الثلاثة او لم يتغير
او استعماله في البدن لاداء عبادة عند ابي حنيفة رحمه الله وعند مالك
ابن انس رحمه الله ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور فان قلت فما تقول
في قوله عليه السلام حين سيل عن بير بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شي
الا ما غير لونه او طعمه او ريحه قلت قال الواقدي كان بير بضاعة طريقا
للماء الى البساتين لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي
كثيرا وانما قال ميتا لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت
وانه غير جار على الفعل كفعول ومفعال ومفعيل وقرئ نسقيه بالفتح
وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا الاناسي جمع انسي
او انسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والاصل اناسين
وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم في اناعيم فان
قلت انزل الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يوذن
بان الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد
عليه الوحش قلت لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه
بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة
وارادهم عليها ان يوثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يربأوا بانفسهم
عن مخالطة القاذورات كلها كما ربأ بهم ربهم فان قلت لم خص
الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب قلت لان الطير والوحش
تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي
وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام
بسقيهم فان قلت فما معنى تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة
قلت معنى ذلك ان علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية
والانهار ومنابع الماء ففيهم غنية عن سقي السماء واعقابهم وهم كثير منهم
لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به
بلدة ميتا يريد بعض بلاد هولاء المتبعدين عن مظان الماء فان قلت
لم قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي قلت لان
حيوة الاناسي بحيوة ارضهم وحيوة انعامهم فقدم ما هو سبب حيوتهم
وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم
لم يعدموا سقياهم ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا
يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القران وفي ساير الكتب والصحف
التي انزلت على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا
ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابى اكثر الناس الا كفورا فابى اكثرهم
الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر
بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة
من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا الا الكفور وان
يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس ما من
عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما يشاء وتلا
هذه الاية وروي ان الملايكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام
لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من هاهنا جواب في تنكير
البلدة والانعام والاناسي كانه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه
بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير فان قلت هل يكفر

ابقايا هم

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)